

مع الكتب

هل جاءت التوراة من جزيرة العرب ؟

د. محمود أبو طالب

الجامعة الاردنية

صدر في ايلول من سنة ١٩٨٥ م من تأليف الدكتور كمال الصليبي الاستاذ في قسم التاريخ والاثار في الجامعة الامريكية في بيروت كتاب بعنوان : « التوراة جاءت من جزيرة العرب » (١) . وهو الان في طبعته الثانية في كل من اللغات العربية والانجليزية والالمانية . وأطروحة هذا الكتاب هي ان تاريخ بني اسرائيل ، كما ترويه التوراة قد اتخذ مساره بالكامل في أرض عسير وجنوبي الحجاز في غربي شبه الجزيرة العربية وان الصعوبات التي واجهها ويواجهها دارسو التاريخ التوراتي وأدت بالكثيرين منهم الى التشكك في صحة ذلك التاريخ سببها قبولهم بالفكرة التقليدية القائلة بان جذور تاريخ بني اسرائيل تعود الى العراق ومصر وان بؤرته كانت في فلسطين . ووفقا لهذه الاطروحة فان أرض كنعان التي نجح بنو اسرائيل في اقامة كيان لهم فيها ليست فلسطين وانما المنحدرات البحرية لعسير من منطقة بلحمر في الشمال عبر منطقة رجال المع وحتى منطقة جيزان في الجنوب . كما ان ارض الفلسطينيين (٢) هي ليست الساحل الفلسطيني وانما ساحل تهامة من جوار الليث في الشمال الى جوار جيزان في الجنوب . وان هيردن ليست نهر الاردن وانما هي لفظة تعني « جرف » او « قمة » او « مرتفع » وقد استعملت للإشارة الى مثل هذه المظاهر الطبوغرافية في عسير وجنوبي الحجاز . وفي عسير ايضا ، وليس في مصر وفي العراق ، نجد نهري مصرام وفرات ، والاول هو وادي ليه والآخر هو وادي اخم . أما مصرام نفسها فليست سوى قرية المصرمة (او المصرامة) بين ابها وخميس مشيط . وليس هذا كل شيء فال مؤلف يرى ايضا ان كتابات المصريين والعراقيين ، وممالك الاجزاء الشمالية من بلاد الشام في الالفين الثانية والاولى قبل الميلاد مما له صلة ببيئة تاريخ بني اسرائيل تشير هي الاخرى الى غربي شبه الجزيرة العربية .

ولقد وصف الدكتور الصليبي نفسه هذه الاطروحة بانها « استنتاج مذهل » (ص٢٧) وهو يقر بانها تبدو « في منتهى الغرابة للوهلة الاولى ليس فقط بالنسبة لليهود

دراسات تاريخية ، ٢٧ و ٢٨ - ايلول - كانون الاول ١٩٨٧ .

- ١٣١ -

والمسيحيين الذين اعتادوا على ان ارض التوراة هي فلسطين بل ايضا بالنسبة الى المسلمين الذين اخذوا هذه الفكرة عن اليهود والمسيحيين « (ص ١٤-١٥) بل انه يعتقد كما ورد على لسانه في مقابلة معه نشرتها مجلة لبنانية (٢) بأن هذه الاطروحة تشكل دعوة الى اعادة النظر في أسس الحضارة الغربية . وكيفما كان الامر ، فان اقل ما تنطوي عليه هذه الاطروحة ، ان صحت ، هو خلق تاريخ قديم كامل لغربي شبه الجزيرة العربية ومحو كامل تاريخ فلسطين القديم واعادة النظر في التاريخ القديم لكل من الشام ومصر والعراق لمدة ألفي سنة - على الاقل - وشطب كل ما كتب في هذه المواضيع لمدة ألفي سنة اخرى .

وفي الفصل الاول من هذا الكتاب وهو بعنوان « العالم اليهودي في العصور القديمة » (ص ٢٧-٥٦) يفسر لنا الدكتور الصليبي كيف قدر لـ « الوهم » بان فلسطين هي ارض التوراة ان يسيطر على البشرية كل هذه المئات من السنين . ويبدأ تفسيره بالتأكيد على ان كون مسار تاريخ بني اسرائيل في غربي شبه الجزيرة العربية « لا يعني ان اليهود لم يكن لهم اي وجود في فلسطين او في غيرها من البلدان خارج غرب الجزيرة العربية في أيام التوراة » (ص ٢٨) . وتعود بدايات الوجود « اليهودي » (٤) في فلسطين الى القرن العاشر قبل الميلاد - اي الى زمن داود وسليمان - وكان الحافز له حينئذ تجاريا . ثم لم يلبث انتقال « اليهود » الى فلسطين ان اتخذ شكل هجرات واسعة النطاق بسبب الحروب التي نشبت بين مملكتي اسرائيل ويهوذا منذ انفصلتا اثر وفاة سليمان وكمادة المهاجرين في كل زمان وفي كل مكان من هذا العالم ، كما يؤكد الصليبي عمد « اليهود » المهاجرون الى فلسطين الى اطلاق اسماء يعرفونها في غربي شبه الجزيرة العربية على مواقع في فلسطين . وهكذا فاننا نجد في فلسطين ومنذ القرن العاشر قبل الميلاد اسماء اماكن توراتية مثل يهوذا ، يروشليم (٥) ، بيت لحم ، حبرون ، شمرون ، جرزيم ، عيبال ، كرمل جليل وهيردن (ص ٣٥-٣٦) . كما ان الدكتور الصليبي يؤكد ايضا انه لم يكن اليهود اول من استوطن فلسطين قادما من غرب شبه الجزيرة العربية بل هناك الفلسطينيون أي الفلسطينيين (والتفسير له) الذين وصلوا ولا شك من غرب شبه الجزيرة العربية قبلهم فصارت تعرف باسمهم وهناك ايضا الكنعانيون الذين نزحوا من غرب شبه الجزيرة العربية في زمن مبكر عندما تفرقت قبائلهم في الارحاء (سفر التكوين ١٨: ١٠) ليعطوا اسمهم لارض كنعان (كنعان) على امتداد الساحل الشامي شمالي فلسطين (ص ٣٣) وقد اعطى كل من الفلسطينيين والكنعانيين اسماء يعرفونها في عسirlوواقع في فلسطين وبلاد الشام ، ومن هنا نجد فيها اسماء فلسطينية مثل غزة واشكلون وبيت دجن منذ « ما قبل بني اسرائيل » واسماء كنعانية مثل صور ، صيدون ، جبيل ، ارواد ولبنان منذ « زمن مبكر » (ص ٣٤) .

ويستمر الدكتور الصليبي في تفسيره ليخبرنا بانه عندما تحطم كيان بني اسرائيل السياسي في ارض عسير باحتلال نبوخذ نصر البابلي ليروشلم سنة ٥٨٦ ق م ، تركز

التيار الرئيسي للتاريخ اليهودي حول فلسطين وقبل ان يمر وقت طويل كانت اصول اليهودية في غرب شبه الجزيرة العربية قد دخلت في غياهب النسيان (ص٤٣) وقد تحقق ذلك نتيجة لموت اللغة العبرية الذي بدأ منذ نهاية القرن السادس قبل الميلاد مع بداية شيوع اللغة الارامية كلفة للحياة اليومية اواخر زمن البابليين ، وبلغ ذروته عندما أصبحت الارامية لغة رسمية في زمن الامبراطورية الاخمينية . وبموت اللغة العبرية بدأت صلة يهود فلسطين بكتبهم المقدسة تنقطع وانقطعت ايضا الصلة بينهم وبين يهود غربي شبه الجزيرة العربية ، ولم يلبث هؤلاء - أي يهود غربي الجزيرة - ان تشتتوا بين الكيانات المحلية الجديدة وأهمها دولة معين التي قامت في نفس المنطقة التي كانت قد قامت فيها مملكة بني اسرائيل من قبل . اما بالنسبة ليهود فلسطين فقد كان الحال مختلفا اذا أتاح لهم الصراع بين البطالة والسلوقيين الفرصة لتحقيق استقلالهم واقامة ما يعرف باسم مملكة الحشمونيين سنة ١٦٧ ق.م . ويؤكد المؤلف ان هؤلاء الحشمونيين قد اعتبروا انفسهم الورثة الشرعيين لاسرائيل القديمة وفي أيامهم « تم اعتبار فلسطين بانها الارض الاصلية لشعب اسرائيل البائد والتوراة العبرية » (ص٤٨) . ومنذ ذلك الوقت سيطر هذا الوهم على العالم .

ولا ثبات ان الربط بين فلسطين والتوراة ليس اكثر من وهم ، يستند المؤلف على ركيزتين نجد الاولى في الفصل الثاني المعنون بـ « مسألة نهج » (ص٥٧-٧٢) ونجد الاخرى في الفصل الخامس وعنوانه « ما لم يكتشف في فلسطين » (ص١٠٥-١٢١) . والركيزة الاولى هي ان النص العبري التوراتي يمثل لغة ميتة يجب عند التعامل معه تعريته من جميع حركاته ، والركيزة الثانية هي ان النشاط الاثري في فلسطين والذي مضى على بدايته أكثر من مئة سنة لم يقدم لنا حتى الان اي دليل على صحة مثل هذا الربط .

وفي توضيحه للنقطة الاولى يؤكد المؤلف على ان النص العبري التوراتي مكتوب بنقطة « خرجت عن اطار الاستعمال العام منذ زمن يعود الى ما بعد القرن السادس او الخامس قبل الميلاد (ولذلك) فانه لا يمكن لاحد ان يعرف كيف كانت هذه اللغة تلفظ وتصور في الاصل لدى الشعب او الشعوب التي تكلمتها (ص٥٧) . وبدءا من القرن السادس الميلادي قامت جماعة من علماء اليهود اصطلاح على تسميتهم بال « ماسوريم » بادخال النقط والحركات على هذا النص ، وبحكم أنهم كانوا يتعاملون مع لغة مضى على موتها أحد عشر او اثنا عشر قرنا فان ما ادخلوه من الحركات لا يمكن اعتباره موثوقا او صحيحا . ومن المؤكد أيضا ، كما يدعي المؤلف ، أنهم ارتكبوا الكثير من الاخطاء فيما يتعلق بالحروف الساكنة وبصورة خاصة حين اعتبروا ان كلمة واحدة هي في الاصل كلمتين او حين اعتبروا حرفا ما سابقا لكلمة ما ، بينما هو في حقيقة الامر لا حق للكلمة التي قبلها، وهكذا ..

ولا شك ان الدكتور الصليبي مصيب فيما يتعلق بزمن ادخال الحركات في النص

العبري التوراتي ، أما القول بأن اللغة العبرية قد ماتت منذ القرن الخامس قبل الميلاد ففيه الكثير من المبالغة بل عدم الصحة . صحيح ان استعمال اللغة العبرية في الحياة الدنيوية اليومية قد بدأ منذئذ بالانحسار وصحيح أيضا أن بعض الفاظ التوراة لاتزال الى اليوم موضع خلاف في مبنائها ومعناها ، الا أنه من المؤكد جدا من الناحية الاخرى ان ترتيب اجزاء من التوراة العبرية قد كان ولا يزال هو محور الصلوات في الكنس وفي البيوت الخاصة . ولقد بدأ الربانة منذ القرن الخامس قبل الميلاد بدراسة النصوص العبرية التي بين ايديهم من اجل تقرير ما هو « مقدس » منها وما هو « غير مقدس » (١) وهي عملية لم تنته الا في اواخر القرن الاول الميلادي ، ولا يصح تكنيكيا انحدث عن « التوراة » (٧) كمجموعة كاملة من الاسفار المقدسة قبل ذلك . وبالعبارة كتبت طائفة الايسينيين اليهودية جل كتاباتها وكل اسفار التوراة المقبولة لديها وهي الكتابات المعروفة باسم « مخطوطات البحر الميت » (٨) ويعود اقدمها الى القرن الثالث قبل الميلاد وحدثها الى اواسط القرن الثاني الميلادي . والى الفترة اليونانية تعود كثير من الكتابات العبرية التذكارية التي كشف عنها في الكنس وعلى المقابر اضافة الى العديد من قطع العملة الحشمونية (٩) . ولقد وجد عدد من آباء الكنيسة الاوائل انفسهم مضطرين الى تعلم اللغة العبرية حتى يتمكنوا من قراءة ما اصطلح المسيحيون على تسميته « العهد القديم » بلغته الاصلية . وفيما يخص اسماء الاماكن وهي لحمة كتاب الدكتور الصليبي وسداه كما يقولون ، وصلنا ومن الفترة اليونانية نص توراتي دخلت عليها فيه الحركات واعني بذلك الترجمة اليونانية المعروفة باسم « السبعونية » Septaugint لم تلبث ان تبتعتها ترجمة لاتينية تعرف باسم « الدارجة » Vulgate وفي سنة ٢٤٥م انجز الاب اوريجن Origen عملا ضخما يعرف باسم Hexpala يتألف من ستة اعمدة متوازية الاول منها هو النص العبري بحروفه انساكنة والثاني هو ما يقابل تلك الحروف باليونانية Transcription اما الاعمدة من ٣ الى ٦ فقد حوت نصوص اربع ترجمات يونانية معروفة في زمنه من بينها الترجمة السبعونية . ومن الغريب ان الصليبي قد نوه بالترجمات الارامية زمن الاخمينيين واليونانية زمن الهيلينيين في معرض التدليل على ان اللغة العبرية كانت ميتة تماما (ص ٥٨-٥٩) ولكن ما لا يستطيع انكاره انها كانت مفهومة على الاقل من قبل أولئك الذين قاموا بتلك الترجمات . وهذا هو اقل ما يقال بشأن ال « ماسوريم » (١٠) الذين بدأوا بادخال الحركات في النص العبري في القرن السادس الميلادي ، اذ من المستحيل ان يكونوا قد قاموا بذلك « بصورة اعتباطية » كما يزعم المؤلف (ص ١٥) والا لكان يصح ان يقال بانهم وضعوا قواعد جديدة وبالتالي نصا توراتيا جديدا .

اما الركيزة الثانية التي اعتمد عليها الصليبي لاثبات ان الربط بين فلسطين والتوراة وهم فهي الادعاء بان النشاط الاثري المكثف فيها لم يكشف عما يبرر مثل هذا الربط ، وقد اقتصر الدكتور الصليبي في محاولة اثبات ذلك على مناقشة عاجلة لثلاثة

نقوش هي : نقش ختم من تل الخليفة بالقرب من العقبة ونقش نفق سلوان من القدس ونقش ميشع من ذيبان ومجموعتين من الكسر الفخارية التي تحمل كتابة كشف عن المجموعة الاولى في سبسطية وتعرف باسم كتابات السامرة وكشف عن الاخرى في تل الدوير ويشار اليها عادة باسم كتابات لاخيش . ويخلص من هذه المناقشة الى ان هذه النقوش والكتابات لا تحتوي أسماء أشخاص أو أماكن يمكن ان ترتبط بالتوراة . ثم يختتم هذا الفصل بسرد مجموعة من المطابقات اللغوية بين أسماء أماكن وردت في بعض كتابات الملك الاشوري سرجون الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق.م) وهي مما اكتشف في العراق وفي بعض رسائل تل العمارنة (التي تعود للقرن الرابع عشر قبل الميلاد) وقد اكتشفت في مصر ، هذا من ناحية . وبين أسماء أماكن في غربي شبه الجزيرة العربية من ناحية أخرى . وبذلك يختلط في فصل عنوانه « مالم يكتشف في فلسطين » بعض ما اكتشف في كل من فلسطين والعراق ومصر . ولا مجال بالطبع لقبول مطابقاته اللغوية المتعلقة برسائل تل العمارنة ونصوص سرجون الاشوري اذا لم يثبت لنا بعد ان أرض التوراة هي عسيرة ، اما مناقشته للكتابات التي وجدت في فلسطين فيمكن اعتبارها مثلاً لما يجب ان لا تكون عليه المناقشة العلمية .

وللتدليل على مدى تهافت هذه المناقشة فاننا سوف نقبل جدلاً كل النقاط التي يصر عليها ثم نسأل هل تثبت هذه النقاط حتى لو صحت أن فلسطين هي ليست أرض التوراة ؟ أما النقاط التي يصر عليها فهي :

أولاً : ان الحروف الاربعة المكتوبة على ختم الخليفة **لي ت م** هي ليست اسم يوثام ملك يهوذا كما زعم المنقب (نلسن جلوك) N. Glueck وانما الى يوثام ما وقد لا يكون من بني اسرائيل بل قد (يكون اسم الاله المصري أنوم) (١١) . كما ان تحديده لموقع عصيون جبر المذكور في التوراة في تل الخليفة الحالي ليس صحيحاً . والواقع هو ان كثيرين من المختصين قد سبقوا الدكتور الصليبي في رفض المطابقة بين يوثام وملك يهوذا الذي يحمل نفس الاسم ورفضوا أيضاً تحديد موقع عصيون في تل الخليفة .

ثانياً : ان اسم الملك حزقيا من ملوك يهوذا غير مذكور في نقش سلوان ولا يرد في هذا النقش ذكر اسم أي موقع بما في ذلك **يروسل** ولم يدع احد خلاف ذلك .

ثالثاً : ان الكتابات التي عثر عليها في سبسطية وبطلق عليها اسم كتابات السامرة لا ذكر فيها لاسم الموقع (شمرون) . ولم يدع احد خلاف ذلك ابداً .

رابعاً : ان كتابات تل الدوير لا ذكر فيها لاسم المكان (لاخيش) المذكور في التوراة وان ادعاء وليم البرايت W. F. Albright بان لاخيش هي تل الدوير ادعاء باطل وباطل ايضا ادعاؤه بان الحروف **س ل م** هي ما بقي من اسم **يروسل** .

خامسا : ان نقش ميشع يتحدث عن حروب هذا الملك المؤابي مع عمري ملك اسرائيل وابنه وقد كتب على نصب اقيم في جحرا جنوبي الكرك بعد اضطرار ميشع للجلاء عن مؤاب في الحجاز .

ويبقى ان ما لا يستطيع الدكتور الصليبي ان ينكره هو ان هذه الكتابات قد اكتشفت في ارض فلسطين والاردن وان اربعا منها بالعبرية واحدا بالمؤابية وهما لهجتان كنعانيتان وان اسم ميشع واسم يوثام مذكوران في التوراة وليس صحيحا ما زعمه المؤلف من ان جلوك ، وبناء على ختم يوثام فقط حدد موقع عصيون جبير التوراتية في تل الخليفة ثم اخذ « يعلن للعالم دون ان يرف له جفن اكتشاف الموقع الصحيح والدقيق لناجم نحاس الملك سليمان » (ص ١٠٦) . لقد نقب جلوك في تل الخليفة (١٢) عدة شهور وكشف عن طبقاته الاثرية وما تحويه من فخار وابنية ودرس سياق ذكر عصيون جبير في النصوص التوراتية قبل ان يقترح هذه المطابقة التي تبقى اقتراحا ربما كان خاطئا . وليس صحيحا ايضا ان البرايت (١٣) قد حدد موقع لاخيش في تل الدوير بناء على الكسرة رقم ٤ التي وجدت فيها ، ومن الغبن الشديد ان يوصف اقتراحه بان الحروف س ل م هي ما بقي من اسم يروسلم بالصفافة والاعتباطية وغياب اقل احترام للامانة العلمية (ص ١١١) اذ ان اقتراحا كهذا ، بغض النظر عن صحته او عدم صحته امر مشروع في مجال الدراسات الاثرية والتاريخية . ثم لماذا كل هذا الغضب الم يؤكد لنا المؤلف في عدة مواضع من كتابه انه كان يوجد في زمن التوراة يروشل فلسطينية .

ان الثقة المطلقة وغير المعقولة التي يقدم بها الدكتور الصليبي مثل هذه الحجج وتجاهله التهام لعشرات بل مئات الدراسات والتقارير التي تتعلق بهذه الكتابات الخمس فقط يؤكد لنا انه لا يقدر مدى التعقيد الذي نجده في تاريخ فلسطين القديم . والا كيف خيل للدكتور الصليبي انه يستطيع ان يقنع احدا باستثناء بعض من قابلوه من كتاب الصحف الدارجة ، ان ميشع قد اقام في جحرا نصبا تذكاريًا لتخليد هزائمه ثم انتقل هذا النصب ليكشف عنه في ذيبان ، او انه حتى يصح الربط بين حزقيا ونقش سلوان ، يجب ان ينص هذا النقش الذي لم يصلنا كاملا على ما يلي « ان هذا النقش قد كتب في زمن الملك حزقيا (ص ١٠٧) ونذكر بهذه المناسبة ان نقش سلوان لم يعثر عليه في قرية سلوان قرب القدس كما يزعم الصليبي وانما على جدار نفق يربط بين عين ستنا مريم (وتسمى ايضا عين ام الدرج) وبركة سلوان وكلاهما على التلة الشرقية الى الجنوب من سور الحرم الجنوبي » (١٤) .

هذا عن محاولة الدكتور الصليبي اثبات ان ارض التوراة هي ليست فلسطين فماذا عن محاولته اثبات ان هذه الارض هي عسير ويعرف الجميع بالطبع انه لم يعثر في ارض عسير حتى الان اية نشاطات أثرية ولم يكتشف فيها ابدا أي أثر مكتوب له اية

صلة قريبة او بعيدة بلغة التوراة او تاريخها ، فعلى ماذا يعتمد الدكتور الصليبي
الذن ١ ..

يعتمد الدكتور الصليبي على ما يدعيه من وجود مطابقات بين اسماء اماكن
في التوراة واسماء اماكن في عسير وغربي شبه الجزيرة العربية ، ويعترف الدكتور
الصليبي بأنه اكتشف هذه المطابقات اكتشافا وعن طريق الصدفة ، اذ نقرأ في الفقرة
الاولى من الفصل الاول مايلي « لقد كان الامر عبارة عن اكتشاف تم بالصدفة . كنت
ابحث عن اسماء الامكنة ذات الاصول غير العربية في غرب شبه الجزيرة العربية عندما
فوجئت بوجود ارض التوراة كلها هناك . . وكان أول ما تنبعت اليه ان في هذه المنطقة
اسماء امكنة تشبه اسماء الامكنة المذكورة في التوراة وسرعان ما تبين لي ان جميع
اسماء الامكنة التوراتية العالقة في ذهني او جلها ما زال موجودا فيها » (ص ٢٨) . وبما
ان اسماء الامكن في غربي شبه الجزيرة العربية واسماء الامكن في التوراة لم تكن
في يوم من الايام سرا خفيا فان سر تردد الدكتور الصليبي ، دون غيره بهذا الاكتشاف
يكنم في المنهج او على الاصح غياب المنهج الذي اتبعه للوصول الى هذه المطابقات
وهذا ما نجده فيما عنوانه « ملاحظات لغوية » (ص ٢١-٢٥) وهي التي نجدها مكررة في
« مسالة نهج » (ص ٦٠-٦٣) .

ومما يلفت النظر ان كتابا تستند اطروحته في شقها الاهم على مطابقات لغوية
قد اكتفى مؤلفه بما سماه « ملاحظات لغوية » جاءت مختصرة جدا ومحشورة بين
المقدمة والفصل الاول ولا ذكر لها في قائمة المحتويات وتبدأ هذه الملاحظات بافادتنا بان
الابجدية العربية تشترك مع الابجدية العربية في اثنين وعشرين حرفا وان هناك ستة
حروف عربية لا وجود لها في العبرية . يلي ذلك قائمة « بالتحولات التي يقرها علماء
اللغات السامية بين اللغتين » تتألف من حروف عبرية وما يقابلها من الحروف العربية .
ولم يقدم الدكتور الصليبي اي دليل على ان علماء اللغات السامية يقرون جميع هذه
التحولات او اي دليل على انها جميعا صحيحة . ولم يميز الدكتور الصليبي بين
تحولات يقبل علماء اللغات السامية بامكانية حدوثها في الفاظ ذات معنى واحد او
متشابه او متضاد (١٥) وبين النقل في اسماء الاعلام (١٦) . اذ ان الاصل في هذه الاخيرة
ان تنتقل بحروفها كما هي فيما عدا تلك الحروف التي لا وجود لها في احدى اللغتين .
ومع ذلك فان تحولا في احدى حروف اسم العلم كان يحدث ولكن دون ان يحكم ذلك قاعدة
جامعة مانعة . اذ ليس شرطا ان تتحول الهمزة مثلا الى واو او ياء بل قد تبقى همزة
او قد تتحول الى عين او قد تسقط .

ونأتي المفاجأة بعد قائمتي الحروف العربية والعبرية حين يقدم لنا الدكتور
الصليبي مجموعة جديدة تماما من قواعد التحول في الحروف بينهما استنبطها هو « من
المقابلة بين اسماء الامكن التوراتية وتلك الموجودة الى اليوم في غرب شبه الجزيرة

العربية « (ص ٢٣) . فهو يستنتج مثلا وعلى هذا الاساس ان حرف اللام في اسماء الاماكن التوراتية مهما كان موضعه في التركيب يتحول الى ال التعريف في نظيره العربي في عسير . وهكذا تصبح جلعاد : الجعد وتصبح لمعلا : المعلا . وهو يقرر ايضا ان اسماء الاماكن التوراتية التي على وزن « يفعل » و « تفعل » تتحول الى العربية على وزن « فعل » و « فعلة » وهكذا تصبح يقطن : قطن ، تعنك : عنقه ، علما بان الدكتور الصليبي يؤكد في الملاحظة التي تلي ذلك مباشرة انه يجب تعرية الاسماء في كل من العبرية والعربية من الحركات وحروف العلة (ص ٢٤) فكيف استقام له مع ذلك الحديث عن الازان . ولنفرض جدلا ان اللغة العبرية لغة ميتة فلا نعرف كيف كانت تلفظ اسماء الاماكن فيها فلماذا يريدنا ان نميت اللغة العربية ايضا . ويؤكد الدكتور الصليبي ان الشين العربية لا تنقلب الى ثاء عربية الا في منطقة جيزان حيث تصبح بشن التوراتية بشن كما ان الكاف العربية لا تنقلب ابدًا الى خاء وذلك لانه لم يجد مثل هذا التحول على الاطلاق في التعريب الذي حصل لاسماء الاماكن التوراتية في شبه الجزيرة العربية (ص ٢٤) . ولا تنسخ هذه القواعد الجديدة عددا من التحولات التي وضعها في القائمتين بل انها تضعنا امام حالة لا مثيل لها من الدوران في حلقة مفرغة ، ان الدكتور الصليبي يريد ان ينقل ارض التوراة الى عسير لانه يدعي انه وجد مطابقات لغوية بين اسماء الاماكن في كل منهما وهو يريد ان يقنعنا بصحة هذه المطابقات بناء على قواعد جديدة تماما استنبطها هو دون غيره من افتراض وجود هذا التطابق اصلا .

ولنضرب على ذلك مثلا المطابقة بين يروشلם وآل شريم التي نجدها في الفصل التاسع « اورشليم ومدينة داود » (ص ١٧٥-١٩٣) ويتوصل المؤلف الى هذه المطابقة في الصفحة ١٨٣ . وحسب ادعائه فان كل ما حصل لغويا عند النقل من الاسم التوراتي الى آل شريم هو « تغير موقعي الحرفين الراء واللام بين قسمي الاسم المركب » (ص ١٨٣) ولم يتنبه الدكتور الصليبي الى انه لا وجود في النص العبري ابدًا لصيغة « يروشلیم » ، للياء بين اللام والميم وانما يكتب دوما ودون استثناء يروشلם اما ما حصل للاسم يروشلם حتى اصبح آل شريم فهو مايلي :

اولا : تحولت الياء الى مدة .

ثانيا : نقل الحرف الثاني الراء ليصبح الرابع .

ثالثا : سقطت الواو نهائيا .

رابعا : انتقل الحرف الرابع الشين ليصبح ثالثا .

خامسا : انتقل الحرف الخامس اللام ليصبح الثاني .

سادسا : اضيفت ياء جديدة في آل شريم .

وقد اقتضت محاكمات المؤلف اللغوية على الجملة التي اقتبسناها اعلاه اما الصفحات من ١٧٥-١٨٣ فقد احتلتها مناقشة ما يسميه « احداثيات » يروشلّم بالنسبة الى حبرون التي هي الخربان في منطقة المجاردة . ويذكر اسم حبرون للمرة الاولى في الصفحة ٣٥ في سياق التأكيد على ان بني اسرائيل عندما هاجروا من عسير الى فلسطين زمن التوراة استعملوا في فلسطين اسماء توراتية من بينها حبرون، ويذكر في المرة الثانية في الفقرة الاولى من هذا الفصل ليفرض علينا المؤلف مايلي :

« هناك خمسة امكنة تسمى حبرون ما تزال موجودة تحت اسم (خربان) (خربن بقلب الاحرف) على المنحدرات البحرية لعسير ومن بين هذه الامكنة الخمسة يحتمل ان عاصمة داود الاولى (أي حبرون) كانت قرية الخربان الحالية في منطقة المجاردة » (ص١٧٥) فلماذا وعلى أي اساس اختار خربان في منطقة المجاردة دون غيرها من بين خمسة مواقع تحمل نفس الاسم لتكون عاصمة داود الاولى ويستمر المؤلف « وكما سنرى لابد ان اورشليم كانت تقع على مسافة ما صعودا باتجاه الشرق في جوار النماص الخ » ولكن ما نراه هو سبع صفحات من « التدقيق في النص العبري لصموئيل الثاني ٦٠٥-١ الذي يتحدث عن كيفية استيلاء داود على اورشليم » (ص١٧٦) يحدد فيها المؤلف مواقع عدد من اسماء الاماكن الحقيقية او المتخيلة بالنسبة الى خربان في منطقة المجاردة ثم لا يلبث ان يعثر على موقع اورشليم « فورا على مسافة حوالي ٣٥ كم الى الشمال من بلدة النماص في سراة عسير شمالي ابها . انها القرية التي تسمى اليوم آل شريم » (ص١٨٣) .

وفي الفصل المعنون « مسألة الاردن » (ص١٣٣-١٥١) توصل الدكتور الصليبي في الصفحة الثانية من هذا الفصل الى ان **هـ ي ر د ن** الاردن تعني « جرف » « نتوء » او « مرتفع » كما يلي : يقرر الدكتور الصليبي في الجملة الاولى من هذا الفصل ان **هـ ي ر د ن** لم تكن في التوراة نهرا لان عبارة نهر هيردن لا ترد في أي مكان فيها ورغم انه يقتبس من كتاب (لجون سيمونز) قوله ان « مشكلة اصل ومعنى كلمة **يردن** التي اختلفت الاراء حولها ما زالت بلا حل (ص ١٣٣ هامش رقم ١) الا انه يقرر انها من الجذر (يرد) بمعنى انحدر ويقابلها في العربية الجذر (ردى) الذي يعني سقط ومنها اشتق الاسم الذي نجده في عسير في صيغة ريدان وهي تعني نتوء او مرتفع (اما النون في كل من يردن ويريدان فهي اداة تعريف مماثلة) وعلى ذلك فان **هيردن** تعني جرف نتوء او مرتفع . من ناحية اخرى وفي الهامش رقم ٣ صفحة ١٣٥ يعترف الدكتور الصليبي ، على مضض ان عبارة « مياه الاردن » ترد في التوراة (وهي تذكر عدة مرات) وهنا يقترح ان (**يرد**) العبرية مقابلة لـ (**ورد**) العربية وليس (**ردى**) ويكون معنى **هـ ي ر د ن** هنا ليس جرفا او نتوءا او مرتفعا وانما جدول ماء او بركة (١٧) .»

وكتاب الدكتور الصليبي هو مجموعة هائلة من المطابقات اللغوية من هذا

المستوى وفيه من المفارقات ما لا يحيط به حصر ،ومنها ان المؤلف يؤكد لنا ، وفي اكثر من مكان ، ان بعض اسماء الاماكن في عسير زمن التوراة قد اطلقت من قبل المهاجرين الى فلسطين على مواقع فيها ونحن نعرف على وجه التحقيق كيف انتقلت اسماء هذه المواقع في فلسطين الى لغتنا العربية فلماذا انتقلت في عسير على نحو يختلف تمام الاختلاف ، اننا نعرف انه في فلسطين عربت هذه الاسماء كما يلي: يروشل : اورشليم ، يريحو : اريحا ، عزة : غزة ، اشكلون : عسقلان ، اسدود : اسدود ، يافو : يافا ، عكو : عكا ، وتعنك: تعنك . . الخ ، فلماذا عربت في عسير على النحو التالي : يروشل آل شريم ، يريحو : الرخية او الوراخ وعزة : آل عزة في منطقة بلحمر او العزة في وادي اضم او عز في منطقة بلسمر واشكلون : شقله في جوار قنفذة او ثقالة في الجوار نفسه ولماذا عربت اسدود اما الى السدود في رجال المع او السداد في منطقة جيزان او الشديد في منطقة مكة المكرمة ، او السداد في منطقة الطائف وكيف اصبحت يافو : الوفية ، وعكو : العكة وتعنك : عنقة ؟ الخ.

ومن النقاط البارزة في هذا الكتاب التسليم بصحة روايات التوراة التاريخية تسليما مطلقا الى درجة لم يصل اليها اكثر التوراتيين المحافظين تطرفا ولذلك فان المؤلف يرهق نفسه في البحث في جغرافية روايات يحوم شك كبير حول صحة احداثها . والتوراة كتاب ديني ذو نظرة تاريخية خاصة وقد كتب ما فيه من روايات لتعزيز تلك النظرة ونجد في التوراة في بعض الاحيان ، روايتين مختلفتين او متناقضتين لحدث واحد . ونقد الروايات التوراتية من حيث نشأتها وفلسفتها ومن حيث المدرسة التي حررتها وصاغتها ومن حيث انتقالها حتى دخلت في «الكانون Canon» (١٨) الذي لم يغلق الا في القرن الاول الميلادي امر ضروري جدا لتقييم روايات التوراة تاريخيا ، وضروري جدا مقارنة ماله صلة بالاثار منها بنتائج الحفريات الاثرية ذات العلاقة ولو فعل الدكتور الصليبي ذلك لوجد انه لا مجال للشك ابدا في ان التوراة قد نشأت في فلسطين من ناحية ، ولا مجال ابدا ، من ناحية اخرى ، للقبول بان كل روايات التوراة التاريخية صحيحة وهذا مثل بسيط :

تذكر مدينة جبعون وسكانها الجبعونيون في التوراة خمسا واربعين مرة . ويفهم من هذه الإشارة ان في مدينة جبعون بركة ماء (ارميا ٤١: ١٢) وان سكانها كانوا يتعاملون بصناعة النبيذ او نقله على الاقل (يشوع : ٩ : ٤) ومنها ايضا ان جبعون ، في زمن يشوع كانت مدينة عظيمة محصنة (يشوع : ٩ : ١٠) وانه قد احتلها ، ومنذ سنة ١٨٣٨ ارتأى ادوارد روبنسون E. Robinson ان جبعون هي الجيب التي تقع على مسافة ١٤ كم الى الشمال الغربي من القدس وبين السنوات ١٩٥٦ - ١٩٦٢ قام (جيمس بريتشارد J. B. Pritchard من جامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا بالحفر في هذا الموقع فكشف عن وجود بركة ماء (١٩) ومعصرة نبيذ (٢٠) وكشف ايضا عن عدد كبير من النقوش و « طبعات » اختام على مقابض جرار فخارية من بينها واحد وثلاثين

مقبضا نقشت عليها كلمة جبعن . وكان على (بريتشارد) أن يقنع المختصين بأن هذه الحروف اسم المكان الذي هو جبعون وكان عليه ثانيا ان يقنعهم ان تلك الجرار لم تأت أنى الجيب حيث وجدت من جبعون وهذا ما فعله في نقاش مطول . (٢١) وبذلك يصبح تحديد موقع جبعون في الجيب الحالية في حكم المؤكد . من ناحية أخرى لم تكشف الحفريات في الجيب عن أية آثار لمدينة محصنة يمكن ارجاعها الى الزمن الذي يفترض ان يشوع قد احتلها فيه وبذلك تكون رواية سفر يشوع ليست صحيحة وانما نسجت فيما بعد لاعتبارات ايدولوجية لا مجال للخوض فيها .

(١) كمال سليمان الصليبي ، التوراة جاءت من جزيرة العرب ، ترجمة عفيف الرزار ومراجعة كمال الصليبي . مؤسسة الابحاث العربية ١٩٨٥ م بيروت ، ٢٦٤ صفحة ، ١١ خارطة . ويفهم من تصدير ناشر الطبعة العربية (ص ٨) ومن بعض المقابلات مع المؤلف (مثلا القبس اليومية الكويتية الصادرة بتاريخ ١٩٨٥/١٠/٣ ص ١١) ان مجلة دير شبيغل Der Spiegel الالمانية قد تعاقدت معه في صيف سنة ١٩٨٢ م ، بعد ان اوشك على الانتهاء من تأليف كتابه على ان تتولى نشره باللغات الالمانية والانجليزية والعربية والفرنسية والهولندية والدانماركية . ويبدو ان هذه المجلة قد واجهت صعوبات في العثور على دور نشر تتولى القيام بهذه المهمة اذ لم يقدر لهذا الكتاب ان يرى النور الا في ايلول من سنة ١٩٨٥ .

(٢) هذا تعريب موفق لاسم هذا الشعب القديم الذي كتب بالعبرية التوراتية Pelishtim وبالصربية Peleset وبالمسمارية الاشورية Palashtu

(٣) مجلة الشراع الاسبوعية الصادر بتاريخ ١٩٨٤/٩/٣ .

(٤) يستعمل الدكتور الصليبي في هذا الكتاب مصطلحي « يهود » و « الديانة اليهودية » كمرادفين لمصطلحي « بني اسرائيل » و « ديانة يهوه » . ويتعمد الاجماع على ان المصطلحين الاولين لم يظهر الا بعد السبي البابلي وانه لذلك لا يصح استعمالها عند الحديث عن الفترة التي سبقت ذلك السبي . ولكن هذه تبقى مسألة ثانوية في ضوء التغيرات الضخمة الاخرى التي يقترحها المؤلف .

(٥) هكذا يكتب المؤلف اسم هذه المدينة المشهورة بالحروف الساكنة كما يعتقد انه ورد في النص العبري للتوراة وهذا خطأ . فقد كتب هذا الاسم في النص العبري دوما ودون اي استثناء وروشلوم وينبها ال « ماسوريم » الذين ادخلوا الحركات في النص العبري ان هذا ما هو مكتسوب Kethib وانها يجب ان تقرأ Qere بروشلايم . حول هذه المشكلة انظر :

A.D. Tushingham, « Yerushalayim, » pp. 183 - 193 in *Archaeology in the Levant. Essays for Kathleen Kenyon*, R. Moorey and P. Parr ed. Aris and Philips Ltd Warminster, England, 1978.

(٦) ان صفة « مقدس » و « غير مقدس » ليست دقيقة في التعبير عن العملية التي نشير اليها . والمقصود هو مايقابل المصطلح Canon في اللغات الاوروبية الحديثة وفي اليونانية واللاتينية الذي يوصف به نص ما - ليس بالضرورة دينيا - عندما يتعمد الاجماع على انه « أغلق » فلا يزداد عليه

أو ينتقص منه. ويختلف « كانون » العهد القديم الكاثوليكي والارثوذكسي عن نظيره البروتستانتي. والاخير مطابق لمجموعة الاسفار التي يصفها اليهود بانها « تلوث اليبدين » والتي يفترض في المؤمن ان يفصل يديه بعد كل مرة يمسها خشية ان ينتقل ما بها من القداسة الى ما يمسه فيلوث تلك القداسة . من اجل فكرة عامة عن هذا الموضوع الحساس انظر :

G.W. Anderson, « Canonical and non-Canonical, » pp. 113-159 in **The Cambridge History of the Bible Vol. I**, P.R. Ackroyd and C.F. Evans ed., The University press, Cambridge, 1970.

(٧) نستعمل مصطلح « تورا » هنا كما استعمله الدكتور الصليبي ، وكما هو شائع في الاستعمال العربي العام رغم عدم دقته . والمقصود هو ما يسميه المسيحيون « العهد القديم » وما يطلق عليه اليهود اسم « تنك » وهو مصطلح يتألف من الحرف الاول من اسم كل جزء من الاجزاء الثلاثة التي يتألف منها كتاب اليهود المقدس تورا ، نبشيم وكتوبيم . واما بالنسبة للمفهوم الاسلامي فان التوراة هي كتاب واحد مقدس انزل على سيدنا موسى عليه السلام حرف فيما بعد من قبل ربانية يهود .

(٨) من اجل فكرة عامة عن هذا الموضوع انظر : وليم بروز ، مخطوطات البحر الميت ترجمة محمود العابدي ، دائرة الثقافة والفنون ، ١٩٦٧ ، عمان . وقد اضاف المترجم ، الذي عمل سنوات طويلة في دائرة الآثار الاردنية معلومات مهمة تتعلق بمصير هذه المخطوطات .

(٩) انظر مثلا :

R. Hestern et. al, **Inscriptions Reveal : Documents From the time of the Bible the Mishna and the Talmud**, The Israel Museum, Jerusalem, 1972 .

Synagogue في :

M. Avi, - Yonah ed. **Encyclopedia of Archeological Excavations in the Holy Land**, Vol. IV, The Israel Exploration Society and Massada Press, Jerusalem, 1978.

(١٠) من الجذر الارامي مسر ويعني « ينقل » « يسلم » . واقدام ما وصلنا من جهد هؤلاء ال «ماسوريين» لا يرقى الى ما قبل القرن العاشر لميلادي وهي نسخة من التوراة ب « ماسورة » هارون بن موسى بن اشر موجودة الان في متحف ليننغراد في الاتحاد السوفياتي وهي التي اعتمدها رودلف كتيل R. Kittel ورفاقه في Biblia Hebraica التي صدرت الطبعة الاولى منها سنة ١٩٢٩ ، والتي حلت فوراً محل النسخ العبرية الاخرى التي كانت متداولة وتعمل الجامعة العبرية الان على اصدار تحقيق جديد للتوراة اساسه ما يعرف باسم نسخة حلب Aleppo Codex وتنسب الى هارون بن اشر ايضا وكانت محفوظة في كنيس حلب ولكنها سربت سنة ١٩٦٥ الى الكيان الصهيوني. حول هذا الموضوع انظر :

M. Goshen - Gottstein. « The Aleppo Codex and the Rise of the Massoretic Bible Text », **Biblical Archaeologist**, Vol. 42, N°. 3 (1979), pp. 145-165.

(١١) وبالطبع فان اقتراح الدكتور الصليبي المتعلق بان هذا الاسم قد يكون للاله المصري أنوم مرفوض رفضا قاطعا لان أي ختم هو بالضرورة لتوثيق معاملات رسمية ادارية وتجارية معا لا شأن للالهة به ولم يحدث ابدا ان اكتشف ختم اله في أي مكان من الشرق القديم . اصف الى ذلك ان المصريين القدماء لم يستعملوا اختاما وان سكان فلسطين القدماء لم يعبدوا الهة مصرية .

V. Glueck, « The First Campaign at Tell el - Kheleifeh (Ezion Geber), **Bulletin of the American Schools of Oriental Research N° 71** (1936), pp. 3-17; « The Topography and History of Ezion Geber and Elat, « **ibid N° 72**, 1938), pp. 2-13;« The Second Campaign at Tell el-Kheleifeh (Ezion Geber: Elath) **ibid N° 75** (1939) , pp. 8-22; « The Third Season of Excavations at Tell el-Kheleifeh **ibid N° 79** (1940) , pp. 2-18; «Ostraca from Elath» **ibid N° 79** (1940), pp. 3-10; **ibid N° 82** (1941) pp. 3-11.

(١٢) من اجل عرض للاقتراحات المتعلقة باسم تل الدوير في العصور القديمة ، بما في ذلك اقتراح (البرايت) الذي طرحه سنة ١٩٢٩ . وتلخيص لابرز موجودات هذا الموقع بما في ذلك الكتابات وقائمة باهم المصادر انظر :

O. Tufnell, « Lachish » , pp. 296-308 in **Archaeology and the Old Testament**, D. winton Thomas ed, The Clarendon Press, Oxford(1967).

(١٤) ويتحدث النقش عن عملية الحفر نفسها ، ويرد في خمسة مواضع من التوراة (الملوك الثاني ٢٠:٢٠ اشعيا ١١:٢٢ اخبار الايام الثاني ٢٠:٢٢-٢٠:٢٢-٢٠:٢٢ وبن سيراخ ١٧:٢٨) ان حزقيا (٧١٥-٦٨٧ق.م) قد حفر في يروشلم بركة وصلها بنفق الى عين جيحون . وان مناسبة ذلك هو الاستعداد للحصار الذي كان متوقعا ان يفرضه سنحاريب على هذه المدينة .

(١٥) انظر مثلا :

L. H. Gray, **Introduction To Semitic Comparative Linguistics**, Philo Press, Amsterdam, 1971.

ربحي كمال ، التضاد في ضوء اللغات السامية . دراسة مقارنة ، جامعة بيروت العربية . بيروت ١٩٧٢ .

(١٦) انظر مثلا فيما يتعلق بفلسطين :

A. F. Rainey , « The Toponymics of Eretz-Israel » , **Bulletin of the American Schools of Oriental Research N° 231** (1978), pp. 1-17.

(١٧) يجمع الدارسون على انه من الصعب القبول بأن صيغة هيردن مشتقة من الجذر يرد انظر :

J. Simons , **The Geographical and Topographical Texts of the old Testament**, Brill, Leiden, 1959.

وقد نوه سيروس جوردن بأن عبارة « نهر الاردن » لا ترد في التوراة وان هذا الاسم باستثناء مرتين (الزامير ٧:٤٢ ، أيوب ٢٣:٤٠) يكون دوما مسبوqa بأداة التعريف ، هذا بالإضافة الى عبارتي

«هذا الاردن» و « اردن اريحا » وقد قاده ذلك الى اقتراح ان هذه اللفظة تعني « نهر » اعتمادا على ذكر iardanus في اوديسه هوميروس (٢: ٢٩١-٢) ولكن رأيه هذا لم يحظ بالقبول انظر :

C. Gordon, **Before the Bible . The Common Background of Greek and Hebrew Civilizations**, Harper & Row, New York 1962, pp. 284-5.

ونذكر بهذه المناسبة (ان بردية اناستاسي الاولى) وهي عبارة عن رسالة مكتوبة من احد الكتاب المصريين الى غريمه ومنافسه وتعود الى اواخر زمن السلالة التاسعة عشرة المصرية ، اواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ترد فيها عبارة « جسدول الاردن ابن يقع » واسم الاردن هنا مسبوق بالاشارة الدالة على نهر او جدول . من اجل ترجمة انجليزية لهذه الرسالة الطويلة الممتدة انظر :

J.A. Wilson, « An Egyptian Letter », pp. 475 - 479 in **Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament**, J.B. Pritchard ed. 3rd edition with Supplement, Princeton University Press, Princeton, 1969.

دلي

W. Helck, **Die Beziehungen Agyptens Zu Vorderasien im 3. Und 2. Jahrtausend V. Chr.**, Agyptologische Abhandlungen 5, 2nd revised ed. O. Harrassovitz, Wiesbaden, 1971, pp. 315 - 319.

نجد مناقشة لقوية جغرافية لهذه الرسالة .

(١٨) انظر الهامش رقم ٦ .

J.B. Pritchard, **The Water System of Gibeon**, The University Museum, The University of Pennsylvania, Philadelphia, 1961. (١٩)

Idem **Winery, Defenses and Soundings at Cibeon**. The University Museum , The University of Pennsylvania , Philadelphia, 1964. (٢٠)

Idem **Hebrew Inscriptions and Stamps From Gibeon**. The University Museum , The University of Pennsylvania , Philadelphia, 1959. (٢١)